

درجات العطاء

ومنازل الشهادة

أبو شهان

جمع ورقيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

مَعَانٍ عَظِيمَةٍ لِلْوَطَنِ

فَدِ (الْوَطَنُ) كَلِمَةٌ صَغِيرَةٌ وَاحِدَةٌ؛ وَلَكِنَّ مَعْنَاهَا عَظِيمٌ جَلِيلٌ، فَهُوَ التُّرْبَةُ الَّتِي مِنْهَا خَرَجْنَا، وَعَلَيْهَا دَرَجْنَا، وَفِيهَا حَيَاتُنَا، وَإِلَيْهَا مَرَجَعُنَا وَمَأْبُنَا.

وَهَلْ كَانَ الْوَطَنُ إِلَّا أَنْتَ، وَتِلْكَ الْعِظَامُ الَّتِي اخْتَلَطَتْ بِأَرْضِهِ مِنْ عِظَامِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الْقَدَمِ؟!!

فَأَنْتَ بَعْضُ الْوَطَنِ، وَالْوَطَنُ كُلُّكَ؛ فِي حَيَاتِهِ حَيَاتُكَ وَلَوْ مِتَّ، وَفِي مَوْتِهِ مَوْتُكَ وَلَوْ حَيَّيْتَ.

وَلَا تَحْسَبَنَّ حَيَاتَكَ هِيَ تِلْكَ الْأَيَّامُ الْقَصِيرَةُ الَّتِي تَقْضِيهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ، وَتَلْهُو وَتَلْعَبُ؛ إِنَّمَا حَيَاتُكَ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ، وَأَعْظَمُ، هِيَ ذِكْرُ الْمَاضِي، وَعِظَةُ الْحَاضِرِ، وَأَمَلُ الْمُسْتَقْبَلِ، هِيَ كُلُّ هَذَا، وَكُلُّ هَذَا هُوَ الْوَطَنُ.

الْوَطَنُ هُوَ الْأَرْضُ الَّتِي طَوَيْنَا فِيهَا ثَوْبَ طِفْلَوَتِنَا الْمَرِحَةِ، وَلَا نَزَالَ نَطْوِي فِيهَا رِدَاءَ شَبَابِنَا وَشَيْخُوخَتِنَا، وَالَّتِي نَشَأْنَا فِيهَا وَأَحْبَبْنَاهَا وَفَضَّلْنَاهَا -بِحُكْمِ الطَّبْعِ وَاللُّغَةِ وَالنَّشْأَةِ- عَلَى كُلِّ بَلَدٍ سِوَاهَا.

هَذِهِ هِيَ فِطْرَةُ الْإِنْسَانِ، وَتِلْكَ هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْوَطَنِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩ هـ / ٢٠ -

الْوَطَنِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ

الْإِنْتِمَاءُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الْإِنْتِسَابُ وَالْإِعْتِرَافُ.

«وَالسُّؤَالُ: هَلْ يُحَرِّمُ الْإِسْلَامُ أَوْ يَمْنَعُ أَنْ يَنْتَسِبَ الْمُسْلِمُ إِلَى وَطَنِهِ أَوْ دَوْلَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؟!»

وَالسُّؤَالُ تَحْدِيدًا هُوَ: هَلْ الْإِنْتِسَابُ إِلَى الْوَطَنِ وَالْدَّوْلَةِ مِمَّا يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ!!

هَلِ الْوَطَنِيَّةُ صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْوُثْنِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ؟!
الْإِنْتِمَاءُ إِلَى الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ أَصْلٌ مُقَرَّرٌ فِي الشَّرْعِ؛ فَالْمُسْلِمُونَ أُمَّةٌ عُدُولٌ،
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ
يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وَهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ؛ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَهُمْ أَتْبَاعُ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ اتَّفَقَ عَلَيْهَا جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ؛ يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهَا، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ وَالْوِلَايَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَسَمَّانَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مُسْلِمِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وَالْإِنْتِمَاءُ إِلَى الْقَبِيلَةِ مِمَّا أَقَرَّهُ الشَّرْعُ؛ وَيَكْفِي فِي الدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ».

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: (٣٥١ / ٤)، رَقْم (١٩٧٩)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ» يَعْنِي: زِيَادَةٌ فِي الْعُمْرِ».

فَالِإِنْسَابُ إِلَى الْقَبِيلَةِ وَالشَّعْبِ أَقَرُّهُ الْإِسْلَامُ، وَعَلَى هَذَا جَرَى الْأَمْرُ؛ فَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَبَائِلِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ أَمَامَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ يُنْكَرْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَالِإِنْتِمَاءُ إِلَى الْأُسْرَةِ -بِأَنْ يُنْسَبَ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ- مِمَّا أَقَرُّهُ الْإِسْلَامُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

بَلْ وَحَذَّرَ ﷺ مِنْ أَنْ يَنْتَسِبَ الْوَلَدُ لِغَيْرِ أَبِيهِ؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ -وَهُوَ يَعْلَمُهُ- إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

وَفِي رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ: «...»، وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ...» (٢).

وَحُبُّ الْوَطَنِ يَغْفُو، وَقَدْ يَمُوتُ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ الَّتِي شَغَلَتْهَا الْأَثَرَةُ وَالْأَنَانِيَّةُ، أَمَّا كِبَارُ النُّفُوسِ فَلَا يَشْغَلُهُمْ شَاغِلٌ عَنْ حُبِّ وَطَنِهِم وَالْعَمَلِ لِرِفْعَتِهِ.

والحديث جود إسناده لألباني في «الصحيحه»: (١/ ٥٥٨ - ٥٦٠، رقم ٢٧٦).

(١) أخرجه البخاري: (٥٣٩/ ٦، رقم ٣٥٠٨)، ومسلم: (١/ ٧٩ - ٨٠، رقم ٦١).

(٢) محاضرة «حقيقة الانتماء» للشيخ الدكتور محمد بن عمر بازمول حفظه الله، بتصرف واختصار.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ - حَتَّى الْخَوَاصِّ - يَخْلُطُونَ بَيْنَ الْوَطَنِيَّةِ وَالشَّهْوَةِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي لَا تَكُونُ مَشْرُوعَةً إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْوَطَنِيَّةُ أَسَاسَهَا، وَلَكِنَّ مَنَفْعَةَ الْوَطَنِ حِينَ يَقَعُ النِّزَاعُ بَيْنَ الْأَحْزَابِ تَكُونُ أَقَلَّ مَا يُفَكَّرُ فِيهِ، تَدْفَعُنَا إِلَيْهِ الْبَغْضَاءُ، ثُمَّ الْعِنَادُ وَالِانْتِفَاعُ الْأَعْمَى.

الَّذِي يُوجِبُهُ إِلَى حُبِّ الْغَلَبِ مَا لَنَا مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ وَالْقُوَى، ثُمَّ مَا لَنَا مِنَ الطَّمَعِ وَالْمَنَفْعَةِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي هِيَ الشُّغْلُ الشَّاعِلُ لِلْإِنْسَانِ أَبَدًا.

يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغَلَ بِأَعْمَالٍ وَطَنِيَّةٍ - وَلَوْ عَنْ رَغْبَةٍ - أَنْ يَفْحَصَ عَنْ قَلْبِهِ وَيَسْأَلَ نَفْسَهُ: أَيْرِيدُ مَجْدَ وَطَنِهِ حَقًّا، أَمْ يُرِيدُ نَجَاحَ فَرِيقٍ مُعَيَّنٍ!!

إِنَّ لَنَا مَهَارَةً فِي إِخْفَاءِ شَهَوَاتِ رَدِيئَةٍ تَحْتَ أَلْفَاظٍ فَخْمَةٍ، حَتَّى إِنَّنَا لَنَخْدَعُ أَنْفُسَنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ؛ نَعْرِفُ طَهَارَةَ نِيَّاتِنَا إِذَا أَحْسَسْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا الْعَجْزَ عَنْ تَغْيِيرِ شُعُورِنَا أَوْ سِيرَتِنَا بِتَغْيِيرِ الْحَظِّ.

وَإِذَا كُنَّا مُسْتَعِدِّينَ لِلْعَمَلِ فِي أَيِّ صَفٍّ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَطْمَعَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ فِي الْمُقَدِّمَةِ أَوْ فِي السَّاقَةِ.. عَلَى السَّوَاءِ.

وَإِذَا كُنَّا نُحِبُّ كُلَّ مَا هُوَ خَيْرٌ لِلْوَطَنِ، وَإِنْ لَمْ يَنْلُهُ الْوَطَنُ عَلَى أَيْدِينَا أَوْ عَلَى أَيْدِي مَنْ نُحِبُّ.

«إِنَّ الْمَدْرَسَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ هِيَ الْوَطَنِيَّةُ، وَمَدْرَسَةُ الْوَطَنِيَّةِ هِيَ فِكْرَةُ الْأُسْرَةِ، إِنَّمَا نَتَعَلَّمُ حُبَّ النَّاسِ وَالْوَطَنِ بِجَانِبِ مَهْدِ أَطْفَالِنَا.

كُلُّ الْمَشَاعِرِ الطَّيِّبَةِ تَنْشَأُ مِنْ هَذَا الْيَنْبُوعِ كَأَنَّهَا نَتِيجَةُ عَدْوَى صَالِحَةٍ رَاضِيَةٍ،
فَكَمَا أَنَّ عَقْلِي يَسْلُكُ طَرِيقَةَ التَّحْلِيلِ وَلَا يَشْمَلُ الْعَالَمَ بِنَظَرَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَقَلْبِي
يُحِبُّ أَوَّلًا مَنْ يُجَاوِرُنِي، ثُمَّ يَقْوَى فَيَمْتَدُّ حَنَانُهُ إِلَيَّ الْإِنْسَانِيَّةِ»^(١).



(١) «الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر»: مجلة

الاستغراب، العدد (١٠)، السنة الرابعة: ٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ، (ص ٢٧٦-٢٧٧).

دَرَجَاتُ الْعَطَاءِ لِلْوَطَنِ

عِبَادَ اللَّهِ! «إِنَّ الْوَطَنَ هُوَ مَدْرَسَةُ الْحَقِّ وَالْوَجِبِ، يَقْضِي الْعُمُرَ فِيهَا الطَّالِبُ، حَقُّ اللَّهِ وَمَا أَقْدَسُهُ وَأَقْدَمُهُ، وَحَقُّ الْوَالِدَيْنِ وَمَا أَعْظَمُهُ، وَحَقُّ النَّفْسِ وَمَا أَلْزَمُهُ، إِلَى أَخٍ تُنْصِفُهُ، أَوْ جَارٍ تُسَعِفُهُ، أَوْ رَفِيقٍ فِي رِحَالِ الْحَيَاةِ تَتَأَلَّفُهُ، أَوْ فَضْلٍ لِلرِّجَالِ تُزَيِّنُهُ وَلَا تُزَيِّفُهُ»^(١).

فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الْوَطَنِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَعْبَاءِ أَمَانَتِهِ الْمُعْظَمَةِ صَيَانَةَ بَنَائِهِ، وَالضَّيَانَةَ بِأَشْيَائِهِ^(٢)، وَالنَّصِيحَةَ لِأَبْنَائِهِ، وَالْمَوْتَ دُونَ لَوَائِهِ، قِيُودٌ فِي الْحَيَاةِ بِلَا عَدَدٍ، يَكْسِرُهَا الْمَوْتُ وَهُوَ قَيْدُ الْأَبَدِ^(٣).

(١) (زيّف الرجل): صغّره وحقّره.

(٢) (الضيانة بالشيء): الضنُّ به، وهو: البخل والحرص عليه.

انظر: «لسان العرب»: (١٢ / ٢٦١).

(٣) تناول الشاعر في هذه الفقرة حقوق الوطن على أبنائه أو واجبات الوطنيين نحو وطنهم، ففصلها أجمل تفصيل دون أن يفوته وصف كل حق بوصفه الملازم من حق الله وحق الوالدين وحق النفس إلى حق الإخوان وسائر أبناء الوطن. مجموعة حقوق يتألف منها حق الوطن على كل إنسان، ولو أدّى القيام بهذا الحق إلى التضحية بالنفس دفاعاً عن الوطن.

رَأْسُ مَالِ الْأُمَمِ فِيهِ مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ كَرِيمٍ، وَأَثَرِ ضَيْلٍ أَوْ عَظِيمٍ، وَمُدَّخِرٍ حَدِيثٍ أَوْ قَدِيمٍ؛ يَنْمُو عَلَى الدَّرْهِمِ كَمَا يَنْمُو عَلَى الدِّينَارِ، وَيَرْبُو عَلَى الرِّذَاذِ^(١) كَمَا يَرْبُو عَلَى الْوَابِلِ الْمِدْرَارِ^(٢)، بَحْرٌ يَتَقَبَّلُ مِنَ السُّحُبِ وَيَتَقَبَّلُ مِنَ الْأَنْهَارِ.

فَيَا خَادِمَ الْوَطَنِ! مَاذَا أَعَدَدْتَ لِلْبِنَاءِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ زِدْتَ فِي الْفِنَاءِ مِنْ شَجَرٍ!!؟

عَلَيْكَ أَنْ تَبْلُغَ الْجَهْدَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَبْنِيَ السَّدَّ؛ فَإِنَّمَا الْوَطَنُ كَالْبُنْيَانِ فَقِيرٌ إِلَى الرَّأْسِ الْعَاقِلِ، وَالسَّاعِدِ الْعَامِلِ، وَإِلَى الْعَتَبِ الْوَضِيعَةِ، وَالسَّقُوفِ الرَّفِيعَةِ. وَكَالرَّوْضِ مُحْتَاجٌ إِلَى رَخِيصِ الشَّجَرِ وَثَمِينِهِ، وَنَجِيبِ النَّبَاتِ^(٤) وَهَجِينِهِ^(٥)؛ إِذْ كَانَ اتِّتْلَافُهُ فِي اخْتِلَافِ رِيَاحِينِهِ^(٦)»^(٧).

=

ثم قال إن هذه الواجبات ينبغي للإنسان القيام بها في جميع أدوار الحياة فلا ينعقد منها إلا بالممات.

- (١) (الرذاذ): المطر الضعيف والمال القليل.
- (٢) (الوابل المدرار): المطر الشديد، الضخم القطر.
- (٣) فيه التفات بديع بليغ؛ لانتقاله من الإخبار إلى الخطاب.
- (٤) (النجيب): الكريم الحسيب من الإنسان والحيوان.
- (٥) (الهجين): من أبوه خير من أمة.
- (٦) يريد أن كل إنسان مهما ارتفع شأنه أو اتضع مكانه قادر على خدمة الوطن، بل هو مطالب بتلك الخدمة، فعمد موفقا إلى التشبيه والاستعارة، فقال: إن البناء محتاج إلى العتب الوضيعة والسقوف العالية، وأن الروض لا يتم بهائه وجماله إلا بمختلف الأزاهير والرياحين.

(٧) «أسواق الذهب» لأمير الشعراء أحمد شوقي: (ص ٩-١٦).

إِنَّ الْوُطْنِيَّةَ تُوجِبُ: «أَنْ يَبْذُلَ الْمَرْءُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْخِبْرَةِ وَالنُّصْحِ فِي عَامَّةِ الْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَانِ لِمَنْفَعَةِ بَنِي وَطَنِهِ؛ فَيَسْتَقِيمُ فِي وَظِيفَتِهِ، وَيَنْصَحُ فِي تِجَارَتِهِ، وَلَا يَغُشُّ فِي حِرْفَتِهِ.

وَيَبْذُلُ جُهِدَهُ فِي تَحْسِينِ حَالَتِهِ وَلَوْ بِالسَّفَرِ إِلَى الْمَمَالِكِ الْبَعِيدَةِ لِتَحْصِيلِ عِلْمٍ يُفِيدُ بِهِ قَوْمَهُ، أَوْ صَنْعَةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا فِي وَطَنِهِ، أَوْ تِجَارَةٍ يَجْلِبُ مِنْهَا لِبِلَادِهِ مَا تَمَسُّ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ»^(١). (*)



(١) «جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء»: (ص ١١٠-١١١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ- مِنْ خُطْبَةٍ: «الْوُطْنِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٤

مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩ هـ / ٢٠-٤-٢٠١٨ م.

أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعَطَاءِ لِلْوَطَنِ: الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فَلَا يَسْتَتِبُ الْأَمْنُ، وَلَا يَحْصُلُ الْإِسْتِقْرَارُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الشِّرْكِ.

وَهَذِهِ الْمَطَالِبُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ مِنَ الْإِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينِ لِلدِّينِ، وَالْإِتْيَانِ بِالْأَمْنِ.. كُلُّهَا لَا تَأْتِي إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

فَلَا تَجْتَمِعُ كَلِمَةُ الْأُمَّةِ، وَلَا يَصِحُّ بِنَاؤُهَا إِلَّا عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَإِلَّا عَلَى عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الصَّحِيحَةِ.

أَمَّا إِذَا دَخَلَ الشِّرْكَ، وَتَفَشَّتِ الْبِدْعُ وَالْخُرَافَاتُ، وَقِيلَ: انْتَرَكُوا النَّاسَ أَحْرَارًا فِي عَقَائِدِهِمْ، لَا تَتَفَرَّقُوا، وَلَا تُبَدِّلُوا جَمْعَهُمْ!! إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ حَصَلَ الْإِخْتِلَافُ، وَحَصَلَ التَّفَرُّقُ، وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَأَوْهَى قُوَّتَهُمْ؛ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي الدُّنْيَا الْيَوْمَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرْسَلَ نَبِيَّهُ ﷺ؛ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَقُومُ
بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَامَ بِهِ، وَنَظَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَى أَهْلِ
الْأَرْضِ؛ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الدِّيَارَاتِ
وَالصَّوَامِعِ وَالْبَيْعِ، كَانُوا قَدْ قَرَأُوا الْكِتَابَ الْأَوَّلَ، وَيَعْرِفُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِشَيَاتِهِ
وَصِفَاتِهِ، وَيَتَنَظَّرُونَ مَقْدَمَهُ، وَأَطْبَقَتِ الْأَرْضُ عَلَى الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَدَعَا إِلَى تَوْحِيدِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ،
وَانْصَاعَتْ قُلُوبٌ إِلَى دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَأُسِّسَتِ الْمِلَّةُ عَلَيْهِ، وَانْتَشَرَ التَّوْحِيدُ فِي
الْأَرْضِ.. عَمَّ فِيهَا الْخَيْرُ، وَقَلَّ فِيهَا الشَّرُّ.

وَكَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ - كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

كُلَّمَا بَعُدَ الْعَهْدُ عَنْ عَصْرِ النُّبُوَّةِ.. كَثُرَ الشَّرُّ، وَقَلَّ الْخَيْرُ.

عِبَادَ اللَّهِ! إِذَا أَرَدْنَا الْإِصْلَاحَ حَقًّا؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَدْعُو النَّاسَ إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ؛ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

إِنَّ الَّذِينَ يُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ الْيَوْمَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَحْتَاجُ الدَّعْوَةَ
إِلَى التَّوْحِيدِ!! هَؤُلَاءِ يَخُونُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْإِسْلَامَ الْعَظِيمَ!!

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»: ١/ ١٣٠، رَقْم (١٤٥).

وَهُؤُلَاءِ مِنْ جُنْدِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُنَجِّي الْمُسْلِمِينَ إِلَّا تَوْحِيدُهُمْ لِرَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا، وَإِخْلَاصُهُمْ فِي الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

الْمُرْسَلُونَ كُلُّهُمْ دَعَوْا إِلَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَخَاتَمُهُمْ وَإِمَامُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ صَدَقَهُمْ، وَدَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

فَالْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: هِيَ إِفْرَادُ اللَّهِ -تَعَالَى- بِالْعِبَادَةِ، وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ.

هَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا يَنْجُو أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَتْبَاعِهَا.

هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَبِسَبَبِهِ كَانَتِ الْمِحْنَةُ، وَوَقَعَتِ الْمَلْحَمَةُ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ، هُوَ أَمْرُ الْعَقِيدَةِ، أَمْرُ التَّوْحِيدِ.

فَالتَّوْحِيدُ هُوَ الْأَسَاسُ، الْعَقِيدَةُ رَأْسُ الدِّينِ.

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا، وَقَدْ أَصْلَحَ أَوَّلَهَا الْإِيمَانُ وَالْيَقِينُ»^(١).

هَذِهِ الْأُمَّةُ إِذَا أَرَادَتْ الْاجْتِمَاعَ، وَأَرَادَتْ الْقُوَّةَ، وَأَرَادَتْ الْإِتِّلَافَ.. فَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا، وَالَّذِي أَصْلَحَ أَوَّلَهَا هُوَ التَّوْحِيدُ.

لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا التَّوْحِيدُ، وَالْاجْتِمَاعُ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ الْاجْتِمَاعُ عَلَى كَلِمَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».

فَالَّذِي يَجْمَعُ الْأُمَّةَ: الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].

وَالْهُدَى: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَدِينُ الْحَقِّ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَجْتَمَعَ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَسَاسُ ذَلِكَ: التَّوْحِيدُ، وَإِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ.

وَالْأَنْبِيَاءُ هُمُ الْمُصْلِحُونَ حَقًّا.. هُمُ الْمُصْلِحُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَقَدْ بَعَثَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَقْوَامِهِمْ، وَقَدْ تَفَشَّتْ فِيهِمُ الْأَمْرَاضُ فَوْقَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ.

(١) «مجموع الفتاوى»: (١ / ٢٤١ و ٣٥٣) و (٢٤ / ٣٥٨).

وَأَخْرَجَهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي «مُسْنَدِ الْمَوْطَأِ»: (ص ٥٨٤، رَقْم ٧٨٣)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ»: (٢٣ / ١٠)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ يَقْعُدُ إِلَيْنَا، ثُمَّ لَا يَقُومُ أَبَدًا حَتَّى يَقُولَ لَنَا: «إِنَّهُ لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا»، قُلْتُ لَهُ: يُرِيدُ مَاذَا؟ قَالَ: «يُرِيدُ التَّقْوَى».

كَانَتْ عِنْدَهُمْ -أَيْضًا- أُمْرَاضٌ تَتَعَلَّقُ بِسِيَاسَاتِهِمْ، وَتَتَعَلَّقُ بِاِقْتِصَادِهِمْ، وَتَتَعَلَّقُ بِمُجْتَمَعَاتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمَعَ ذَلِكَ.. لَمْ يَبْدَأْ نَبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا رَسُولٌ مِنَ الرُّسُلِ -وَهُمُ الْمُصْلِحُونَ حَقًّا، وَهُمْ الْمُصْلِحُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ-؛ لَمْ يَبْدُؤُوا دَعْوَةَ أَقْوَامِهِمْ بِشَيْءٍ قَبْلَ تَوْحِيدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَلَنَا فِيهِمْ الْأُسُوءَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْقُدُوءَةُ الصَّالِحَةُ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِ. (*).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ- مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ١٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣ هـ / ١٠-١٢-٢٠١١ م.

مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعَطَاءِ لِلْوَطَنِ: الْعَمَلُ الْجَادُّ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَى الْعَمَلِ، وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى السَّعْيِ وَالتَّكْسِبِ؛ فَهُوَ دِينٌ يُؤَكِّدُ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ، وَيَذُمُّ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ وَالْإِتْكَالِيَّةَ؛ إِذْ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلِاسْتِرْخَاءِ وَالْبَطَالَةِ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى الْآخَرِينَ وَاسْتِجْدَائِهِمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُمْ.

فَالْإِسْلَامُ دِينُ عِبَادَةٍ وَعَمَلٍ، يَحْتَثُّ الْجَمِيعَ عَلَى الْإِنْتِاجِ وَالْإِبْدَاعِ، وَيُهِيبُ بِفِئَاتِ الْمُجْتَمَعِ كَافَّةً أَنْ تَنْهَضَ وَتَعْمَلَ بِإِتْقَانٍ، وَيَقُومَ كُلُّ بَدْوَرِهِ الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ؛ لِنَفْعِ الْأُمَّةِ وَإِفَادَتِهَا.

وَلَمْ يُحَدِّدِ الْإِسْلَامُ الْعَمَلَ فِي شَهْرٍ دُونَ آخَرَ؛ بَلْ حَثَّ عَلَيْهِ فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ كُلِّهَا.

وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي صَحَابَتِهِ الْكَرَامِ ﷺ أَعْظَمُ قُدْوَةٍ، وَخَيْرُ أُسْوَةٍ؛ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ كُلُّهَا جِدًّا وَاجْتِهَادًا، وَعَمَلًا وَحَيَوِيَّةً وَنَشَاطًا. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةٍ: «انْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ

٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩ هـ / ٢٥-٥-٢٠١٨ م.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَتَّى فِي كِتَابِهِ عَلَى الْعَمَلِ وَطَلَبِ الرِّزْقِ -رِزْقِ اللَّهِ-
بِأَنَاءٍ وَرَفَقٍ، مَعَ صَبْرٍ وَكَدَحٍ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي
الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]؛ يَعْنِي: فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ
فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ؛ لِلتَّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ،
وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ، وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللَّهِ بِأَنَاءٍ وَرَفَقٍ، مَعَ صَبْرٍ وَكَدَحٍ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ؛ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الجمعة:

فَضَائِلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

الْوَطَنُ إِنْ كَانَ إِسْلَامِيًّا يَجِبُ أَنْ يُحَبَّ، وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُشَجَّعَ عَلَى الْخَيْرِ فِي وَطَنِهِ، وَعَلَى بَقَائِهِ إِسْلَامِيًّا، وَأَنْ يَسْعَى لِاسْتِقْرَارِ أَوْضَاعِهِ وَأَهْلِهِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ لَوَازِمِ الْحُبِّ الشَّرْعِيِّ لِلْأَوْطَانِ الْمُسْلِمَةِ أَيْضًا: أَنْ يُحَافَظَ عَلَى أَمْنِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْأَسْبَابُ الْمُفْضِيَّةُ إِلَى الْفَوْضَى وَالْإِضْطِرَابِ وَالْفَسَادِ؛ فَالْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ مِنْ أَعْظَمِ مَنِ الرِّحِيمِ الرَّحْمَنِ عَلَى الْإِنْسَانِ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ بَلَدِهِ الْإِسْلَامِيِّ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَحْصِيلِ اسْتِقْرَارِهِ وَأَمْنِهِ، وَبُعْدِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الْفَوْضَى، وَعَنِ الْإِضْطِرَابِ، وَعَنْ وَقُوعِ الْمُشَاغَبَاتِ.

عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ بَلَدَهُ الْإِسْلَامِيَّ، وَأَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَمُوتَ دُونَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْأَرْضُ مَالٌ، فَمَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ.

وَمِصْرُ الَّتِي لَا يَعْرِفُ أَبْنَاؤُهَا قِيمَتَهَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَافَظَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُحَافَظَ عَلَى وَحْدَتِهَا، وَأَنْ تُجَنَّبَ الْفَوْضَى وَالْأَضْطِرَابُ، وَأَنْ تُنْعَمَ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالِاسْتِقْرَارِ. (*)

* وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبُشْرِيَّاتٍ لْجُنُودِنَا الْمُرَابِطِينَ الْمُدَافِعِينَ عَنْ مِصْرِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَمِنْ فَضَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، أَنْتَظَرَ حَتَّى زَالَتِ الشَّمْسُ، قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ.. اهْزِمْهُمْ، وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ» (٢).

«فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ»؛ أَيُّ: فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ، وَالْحَرْبُ يُسَمَّى يَوْمًا وَإِنْ اسْتَغْرَقَ أَيَّامًا.

«أَنْتَظَرَ»؛ أَيُّ: تَأَخَّرَ إِلَى مَا بَعْدَ الزَّوَالِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُلَخَّصٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِصْرُ بَيْنَ مَطَامِعِ الْأَعْدَاءِ وَجُحُودِ الْأَبْنَاءِ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ١٦ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ / ٣-٧-٢٠١٥ م.

(٢) «عمدة الأحكام» لعبد الغني المقدسي (رقم ٤١٦)، وأخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٠٢٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» (رقم ١٧٤٢).

أَخْبَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ الْعَدُوَّ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ، فَانْتَظَرَ وَلَمْ يَبْدَأْ بِالْقِتَالِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ، وَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ - وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ - قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا، فَنَهَاهُمْ عَنْ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»؛ أَي: إِنْ حَقَّقَ اللَّهُ ذَلِكَ وَابْتَلَيْتُمْ بِلِقَاءِ الْعَدُوِّ فَاصْبِرُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَاتْرَكُوا الْجَزَعَ، وَعَلِّمُوا أَنَّ لَكُمْ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ؛ إِمَّا أَنْ يُظْفِرَكُمْ اللَّهُ بِعَدُوِّكُمْ، وَتَكُونَ لَكُمْ الْغَلْبَةُ، وَيَجْمَعَ اللَّهُ لَكُمْ بَيْنَ قَهْرِ الْعَدُوِّ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ تُغْلَبُوا بَعْدَ أَنْ بَدَلْتُمْ الْمَجْهُودَ فِي الْجِهَادِ، فَيَكُونَ لَكُمْ الثَّوَابُ الْآخِرِيُّ.

«وَعَلِّمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»؛ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ بِشَرْعِهِ الْمُنَزَّلِ، وَبِقُدْرَتِهِ الْكَامِلَةِ عَلَى إِجْرَاءِ السَّحَابِ، وَعَلَى أَنْ يَهْزِمَ الْأَحْزَابَ، دَعَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْصُرَ - سُبْحَانَهُ - الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

* وَمِنْ فَصَائِلِ الْجِهَادِ: أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا،

وَمَوْضِعُ سَوَاطِئِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (١).

«الرِّبَاطُ»: مُرَاقِبَةُ الْعَدُوِّ فِي الثُّغُورِ الْمُتَاحِمَةِ لِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

أَوْ مُلَازِمَةُ الْمَكَانِ الَّذِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ - أَيْ الثُّغُورِ -؛ لِحِرَاسَةِ الْمُسْلِمِينَ وَدِيَارِهِمْ، وَلِمُرَاقِبَةِ عَدُوِّهِمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أَدْلِكُكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ» (٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

(١) «عمدة الأحكام» (رقم ٤١٧)، وأخرجه البخاري (رقم ٢٨٩٢) بتمامه، والحديث متفق عليه، بلفظ: «وَالْغَدْوَةُ يَغْدُوهَا - وفي رواية: وَالرَّوْحَةُ يَرْوَحُهَا - الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، أخرجه البخاري أيضًا (رقم ٢٧٩٤)، ومسلم (رقم ١٨٨١).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَالرَّبَاطُ: الْمُثَابَرَةُ عَلَى الْعَمَلِ وَالِدَّابُّ فِيهِ؛ وَهُوَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الصَّلَاةِ لِأَدَائِهَا، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا؛ أَيَّ أَنَّ الْمَقَامَ فِي حُدُودِ الْعَدُوِّ مِنَ الْكُفَّارِ؛ رَضْدًا لِحَرَكَاتِهِ، وَحِرَاسَةً لِمَنْ يَكُونُ حَوْلَهُ وَقَرِيبًا مِنْهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.. رِبَاطُ يَوْمٍ بِهَذِهِ النِّيَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

«وَمَوْضِعُ سَوِّطٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»: هَذَا الْمِقْدَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَعْلُومٌ تَفْضِيلُ مَوْضِعِ السَّوِّطِ فِي الْجَنَّةِ عَلَى الدُّنْيَا بِأَكْمَلِهَا.

«وَالرَّوْحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: الذَّهَابُ مِنْ بَعْدِ الظُّهْرِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ، كَمَنْ يَذْهَبُ لَطَلَبِ الْعِلْمِ، أَوْ لِتَعْلِيمِ قَوْمٍ وَإِرْشَادِهِمْ، أَوْ لِقِتَالِ الْكُفَّارِ، أَوْ لِأَيِّ أَمْرٍ فِيهِ صَلَاحٌ لِلدِّينِ.

«وَالْغَدْوَةُ»: إِذَا غَدَا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى وَسْطِهِ؛ «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَقَامَ يَوْمٍ فِي الرَّبَاطِ، أَوْ مَقَامَ غَدْوَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ أَنَّ يَغْدُو الْإِنْسَانُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّ مَوْضِعَ سَوِّطٍ أَحَدِنَا فِي الْجَنَّةِ -أَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنَا جَمِيعًا جَنَّةَ الْخُلْدِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ-.. كُلُّ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ بَاقِيَةٌ وَالدُّنْيَا فَانِيَةٌ، وَقَلِيلُ الْبَاقِي خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْفَانِي.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «انْتَدَبَ اللَّهُ - وَلِمُسْلِمٍ: تَضَمَّنَ اللَّهُ - لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(١).

وَلِلْبَخَارِيِّ^(٢): «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ».

(١) «عمدة الأحكام» (رقم ٤١٨)، وهو طرف حديث أخرجه البخاري (رقم ٣٦ و ٣١٢٣) ومواضع، ومسلم (رقم ١٨٧٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتامامه: «...، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ نَغَزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَحْدُونُ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلَ».

وفي رواية لهما أيضًا: «تَكَفَّلَ اللَّهُ»، وفي رواية لأحمد في «المسند» (٣٩٨/٢)، رقم ٩١٧٤)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (رقم ٤٧): «تَوَكَّلَ اللَّهُ»، والحديث قد تقدم تخريجه.

(٢) «صحيح البخاري» (رقم ٢٧٨٧).

وقد أخرج نحوه مسلم (رقم ١٨٧٨)، من طريق آخر، من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أيضًا، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﻋَلَيْكَ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»،

«تَضَمَّنَ اللَّهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «تَكَفَّلَ اللَّهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «تَوَكَّلَ اللَّهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «اِنْتَدَبَ اللَّهُ»؛ كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ تَحْقِيقُ الْمَوْعُودِ، وَمَا ضَمِنَ فِيهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ؛ لِأَنَّهُ تَكَفَّلَ فِيهِ الْقَادِرُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

ضَامِنٌ: بِمَعْنَى مَضْمُونٍ، نَحْوُ: عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ؛ أَيْ: مَرْضِيَّةٌ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: ضَمَانٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا مُخْلِصًا، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ فِي وَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ مِنْهَا؛ فَإِنْ قُتِلَ.. فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ بَقِيَ.. فَقَدْ تَضَمَّنَ اللَّهُ أَنْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ؛ أَيْ مِنْ أَجْرٍ بَدُونِ غَنِيمَةٍ، أَوْ يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ بَيْنَ الْغَنِيمَةِ وَالْأَجْرِ. (*)

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَثَلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتَرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ

=

قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، وَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ، لَا يَفْتَرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٨١ - الْأَرْبَعَاءُ

١٧ مِنْ رِبْعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١ هـ / ٣-٣-٢٠١٠ م.

لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بَأَن يُتَوَفَّاهُ أَوْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (*)

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ» (٢).

فَضْلُ الْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «خَيْرٌ مِّمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ»؛ يَعْنِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

وَالْغَدْوَةُ: الْخُرُوجُ مِنَ الْغَدْوِ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى الزَّوَالِ.

وَالرَّوْحَةُ: هِيَ الْخُرُوجُ فِي الرَّوَّاحِ مَا بَيْنَ الزَّوَالِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

فَتِلْكَ الْغَدْوَةُ أَوْ الرَّوْحَةُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مُخْلِصًا لِلَّهِ، وَعَمَلُهُ مُوَافِقٌ لِشَرْعِ اللَّهِ.. تِلْكَ الْغَدْوَةُ أَوْ الرَّوْحَةُ خَيْرٌ مِّمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ.

فَفِي هَذَا تَفْضِيلٌ لَهَا عَلَى جَمِيعِ مَتَاعِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقُصُورِ وَالْمَزَارِعِ، وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ مَتَاعِهَا كَالنِّسَاءِ وَمَا أَشْبَهَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيْقِ عَلَى: «مُتَّحِدٌ زَادَ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ» - الْأَرْبَعَاءُ ٢٥ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٥ هـ / ٢٦-٣-٢٠١٤ م.

(٢) «عمدة الأحكام» (رقم ٤٢٠)، وأخرجه مسلم (رقم ١٨٨٣).

فَتِلْكَ الْغَدَوَةُ أَوْ الرُّوحَةُ خَيْرٌ مِّمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ، مِنْ
مَشْرِقِهَا إِلَى مَغْرِبِهَا، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يُقَادَرُ قَدْرُ فَضْلِهِ، وَمَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
رُوحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(١). (*)



(١) «عمدة الأحكام» (رقم ٤٢١)، وأخرجه البخاري (رقم ٢٧٩٢ و ٢٧٩٦ و ٦٥٦٨)،
ومسلم (رقم ١٨٨٠)، وزاد البخاري: «...، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ
الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ
لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا -يَعْنِي الْخِمَارَ- خَيْرٌ مِنَ
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٨١ - الْأَرْبَعَاءُ
١٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١ هـ / ٣-٣-٢٠١٠ م.

مَنَازِلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ

يَتَرْتَّبُ عَلَى الْجِهَادِ: الشَّهَادَةُ.

وَالشَّهِيدُ: هُوَ الَّذِي قُتِلَ بَازِلًا دَمَهُ وَنَفْسُهُ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ، يُعَوِّضُهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الْبَرَزَخِ - أَيْ قَبْلَ الْقِيَامَةِ -، وَفِي الْجَنَّةِ بَعْدَ الْقِيَامَةِ. (*)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وَلَا تَظُنَّنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَا كُلَّ مُؤْمِنٍ مِنْ أُمَّتِهِ، أَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا كَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي مَحَلِّ كَرَامَتِهِ وَفَضْلِهِ، يُرْزَقُونَ، وَيَأْكُلُونَ، وَيَتَنَعَّمُونَ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَتُحْفِهَا.

إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَانُوا رِجَالًا صَابِرِينَ، إِنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَحْيَوْنَهَا يَشْعُرُونَ بِسَعَادَةٍ عَظِيمَةٍ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَةِ فِي دَارِ النِّعَمِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٨١ - الْأَرْبَعَاءُ ١٧ مِنْ ربيع الأول ١٤٣١ هـ / ٣-٣-٢٠١٠ م.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

وَهُمْ يَفْرَحُونَ بِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَرَكُوهُمْ أَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنْهَجِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ لِحَقِّقُوا بِهِمْ، وَنَالُوا مِنَ الْكِرَامَةِ مِثْلَ الَّذِي نَالُوهُ، وَأَنَّهُمْ لَا خَوْفٌ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا. (*)

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنِلُونُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنُلُونَ وَيُقْنِلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى شِرَاءً جَارِماً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمُ الَّتِي خَلَقَهَا، وَأَمْوَالَهُمُ الَّتِي رَزَقَهُمْ إِيَّاهَا، بِأَنْ يَبْذُلُوا طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ الْمَالَ؛ لِإِعْدَادِ وَسَائِلِ الْجِهَادِ، وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ فِي الْأَرْضِ، وَيَبْذُلُوا النُّفُوسَ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَمْعِ الْكُفْرَةِ الْمُحَارِبِينَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مُقَابِلَ ثَمَنِ يَدْفَعُهُ لَهُمْ جَزْماً هُوَ الْجَنَّةُ.

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَإِظْهَارِ دِينِهِ، فَيَقْتُلُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَيُسْتَشْهَدُونَ فِي سَبِيلِهِ، ذَلِكَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- لِلْمُجَاهِدِينَ فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [آل عمران: ١٦٩ -

سَبِيلِهِ قَدْ أَثَبَّتَهُ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى مُوسَى عليه السلام، وَفِي الْإِنْجِيلِ الْمُنَزَّلِ عَلَى عِيسَى عليه السلام، كَمَا أَثَبَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ عليه السلام.

وَلَا أَحَدٌ أَوْفَى بِالْعَهْدِ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ وَفَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَافْرَحُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُبَايِعُونَ، وَاسْتَمْتِعُوا بِالسُّرُورِ الَّذِي يَنْزِلُ بِكُمْ؛ بِسَبَبِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ الَّذِي تَنَالُونَهُ عَوْضًا عَمَّا تَبْذُلُونَهُ بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ رَبَّكُمْ.

وَذَلِكَ الْعَوْضُ الرَّفِيعُ الْمُنَزَّلَةُ هُوَ وَحْدَهُ الرَّبْحُ الْكَبِيرُ، وَالظَّفَرُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُسَاوِيهِ وَلَا يَفُوقُهُ فَوْزٌ آخَرُ. (*)

* وَرِيحُ دَمِ الشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحُ الْمِسْكِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمُهُ يَدْمَى؛ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ» (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [التوبة: ١١١].

(٢) «عمدة الأحكام» (رقم ٤١٩)، وهذا جزء من حديث؛ أخرجه البخاري (رقم ٥٥٣٣)

واللفظ له، ومسلم (رقم ١٨٧٦)، ولفظه: «مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ».

وفي رواية لهما: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ».

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ كَلِمٍ يُكَلِّمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ، تَفْجَرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ»، والحديث قد تقدم

تخريجه.

«مَا مِنْ مَكْلُومٍ: مَجْرُوحٍ، «يُكَلِّمُ»: يُجْرَحُ، «فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: يَغْنِي بِنِيَّةِ خَالِصَةٍ لِلَّهِ، وَبَذَلَ النَّفْسَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ.

«إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمُهُ يَدْمَى»؛ أَي: وَجُرْحُهُ يَتْعَبُ مِنْهُ الدَّمُ، وَيَسِيلُ كَهَيْئَتِهِ حِينَ جُرْحٍ.

«الْلُّونُ لَوْنُ الدِّمِّ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ»: الْلُّونُ أَحْمَرُ كَلَوْنِ الدِّمِّ، وَلَكِنَّ الرَّيْحَ رِيحُ الْمِسْكِ وَلَيْسَ بِرِيحِ دَمٍ.

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بِأَنْ كَانَ مُخْلِصًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بَادِلًا نَفْسَهُ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، طَائِعًا رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ ثَوَابَهُ، خَائِفًا مِنْ عِقَابِهِ.. إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَدْمَى -يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ- كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرْحٍ؛ الْلُّونُ لَوْنُ الدِّمِّ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ.

وَهَذَا فِيهِ فَضِيلَةٌ مَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْ رَائِحَةَ دَمِهِ تَنْتَشِرُ فِي الْمَوْقِفِ، فَيُشَمُّهَا النَّاسُ جَمِيعًا كَأَنَّهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ.

فَيُشْتَرَطُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَا مَعْنَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟

أَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَوْجَبَ جُرْحَهُ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ صَوَابًا عَلَى مَا شَرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَإِذَا كَانَتِ النِّيَّةُ مَدْخُولَةً، أَوْ كَانَ الْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ صَوَابٍ عَلَى السُّنَّةِ.. فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ كَلِمُهُ كَذَلِكَ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ

يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ»^(١).

يُعَلِّمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا يُسَمُّونَهُ بِالْعَمَلِيَّاتِ
الِاسْتِشْهَادِيَّةِ - وَهِيَ لَيْسَتْ بِاسْتِشْهَادِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ عَمَلِيَّاتٌ انْتِحَارِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ
مَا يَأْتِي بِهِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ؛ بِإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ الْبَرِيَّةِ،
وَسَفْكِ الدِّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ، وَإِتْلَافِ الْأَمْوَالِ الْمُحَرَّمَةِ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا
هُدًى - يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ عَمَلَهُمْ بَاطِلٌ، وَهُوَ مُوجِبٌ لِغَضَبِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،
وَلَيْسَ بِمُوجِبٍ لِرِضَاهُ - كَمَا زَعَمُوا -.

وَلِهَذَا فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَنْفُسِهِمْ، وَلْيَتَّقِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِينَ يُفْتُونَهُمْ
بِجَوَازِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْإِفْسَادِ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِخَافٍ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمُهُ يَدْمَى»؛ يَنْزِلُ مِنْهُ الدَّمُ كَهَيْئَتِهِ
يَوْمَ جُرْحٍ.

فَمَا هُوَ السَّبَبُ فِي تَغْيِيرِ رَائِحَةِ الدَّمِ - وَإِنْ كَانَ اللَّوْنُ لَوْنًا دَمًا؟

السَّبَبُ طَيِّبُ النِّيَّةِ، فَكَمَا طَيِّبَ نِيَّتُهُ طَيِّبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَائِحَةَ دَمِهِ، فَقَدْ بَدَلَ
نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَامْتَثَلَ الْأَمْرَ، وَكَانَتْ نِيَّتُهُ طَيِّبَةً، فَطَيَّبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَائِحَةَ
الدَّمِ، وَتِلْكَ الرَّائِحَةُ الْحَسَنَةُ يَسْتَدِلُّ بِهَا مَنْ شَمَّهَا عَلَى حُسْنِ عَمَلٍ صَاحِبِهَا،
وَطَيِّبُ نِيَّتِهِ، وَإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يُرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُظْهِرَ شَرَفَ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَ الدَّمَ بَلَوْنِهِ، وَجَعَلَ الرَّائِحَةَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ، يَعْلَمُ ذَلِكَ أَهْلُ الْمَوْقِفِ» (١). (*)

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُسَلِّمَ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. (٢/*)



(١) «تأسيس الأحكام» (٥/ ٢٨٠-٢٨٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٨١ - الْأَرْبَعَاءُ ١٧ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١ هـ / ٣-٣-٢٠١٠ م.

(٢/*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «جِهَادُ أُمِّ إِرْهَابٍ؟» - ٧ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٤ هـ / ١٣ مِنْ سِبْتَمْبَرِ ٢٠١٣ م.

اِنْتِصَارَاتُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ

لَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ مِصْرَ عَلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ؛ كَمَا فَضَّلَ بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ،
وَبَعْضَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَى بَعْضٍ.

وَالْفَضْلُ عَلَى ضَرِيَيْنِ: فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، أَوْ فِيهِمَا جَمِيعًا.

وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ مِصْرَ وَشَهِدَ لَهَا فِي كِتَابِهِ بِالْكَرَمِ، وَعَظَّمَ الْمَنْزِلَةَ، وَذَكَرَهَا
بِاسْمِهَا، وَخَصَّهَا دُونَ غَيْرِهَا، وَكَرَّرَ ذِكْرَهَا، وَأَبَانَ فَضْلَهَا بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ
الْمَجِيدِ تُنبِئُ عَنْ مِصْرَ وَأَحْوَالِهَا، وَأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا، وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَالْمُلُوكِ
الْمَاضِيَةِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

يَشْهَدُ لَهَا بِذَلِكَ الْقُرْآنُ - وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا -، وَمَعَ ذَلِكَ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
فِي مِصْرَ، وَفِي عَاجِمِهَا خَاصَّةً، وَذَكَرَهُ لِقَرَابَتِهِمْ وَرَحِمِهِمْ، وَمُبَارَكَتِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى
بَلَدِهِمْ، وَحَثَّهِ عَلَى بَرِّهِمْ. (*)

هَذِهِ مِصْرُ.. وَهِيَ أَرْضُ إِسْلَامِيَّةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَلَنْ يُدَافِعَ
عَنْهَا عَصَبِيَّةٌ، وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْحَمِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلِأَجْلِ دِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِصْرُ بَيْنَ مَطَامِعِ الْأَعْدَاءِ وَجُحُودِ الْأَبْنَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ

رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ / ٣-٧-٢٠١٥ م.

وَلِيُظِلَّ الْأَذَانُ فِيهَا مَرْفُوعًا، وَلِيُظِلَّ الْجُمُعُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالْأَعْيَادُ، وَلِيُظِلَّ شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ فِيهَا قَائِمَةً رَغَمَ أَنْفِ الْخَوَارِجِ وَالتَّكْفِيرِيِّينَ - عَلَيْهِمُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا مَا يَسْتَحِقُّونَهُ -.

هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ عَنِ الْإِسْلَامِ مُدَافِعَةٌ، وَعَنِ الْإِيمَانِ مُنَافِحَةٌ.

وَهِيَ لِلْقُرْآنِ حَامِلَةٌ، وَلِلْعِلْمِ نَاشِرَةٌ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ بِاللَّهِ عَالِمَةٌ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مِنَ الْأَتَقِيَاءِ الْأَنْقِيَاءِ الْأَخْفِيَاءِ مَنْ يَضْرَعُونَ إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ أَنْ يُنَجِّبَهَا، وَيُنَجِّي الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ وَسُوءٍ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ هِيَ الصَّخْرَةُ السَّمَاءُ الَّتِي لَمَّا اتَّحَدَ أَبْنَاؤُهَا مَعَ أَهْلِ الشَّامِ تَحْتَ قِيَادَةِ الْمُظَفَّرِ (قُطْرُ)، تَمَّ انْحِسَارُ مَوْجَاتِ التَّتَارِ الْهَمَجِ عَلَى صَخْرَتِهِمُ الْقَائِمَةِ الْعَاتِيَةِ، وَنَجَّى اللَّهُ - تَعَالَى - الْحَضَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا بِهَذَا الرَّدِّ وَبِذَلِكَ الصَّدِّ، وَبِهَذَا الْكَفَاحِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

خَرَجَتْ جُيُوشُ الْمِصْرِيِّينَ مُوَحَّدَةً مُؤْمِنَةً بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُنَافِحَةً عَنْ دِينِهِ الْعَظِيمِ، صَرَخَتْهَا: «وَإِسْلَامَاهُ!»، تُنَافِحُ عَنْهُ، وَتَمُوتُ دُونَهُ، وَتُقَاتِلُ لِأَجْلِ رَفْعِ رَايَتِهِ.

هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ مُجَاهِدَةٌ؛ تُجَاهِدُ عَنْ دِينِ اللَّهِ - تَعَالَى - جَمِيعَ الْمُعْتَدِينَ.

وَفِي عَهْدِ (الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ) لَمَّا خَرَجَ (صَلَاحُ الدِّينِ) وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ جُنْدِ الشَّامِ الْمَيَامِينِ، مَعَ جُمْلَةٍ مِنْ خَرَجَ مِنْ جُنْدِ الْمِصْرِيِّينَ..

كَانَ تَطْهِيرُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَ إِجْلَاءِ الصَّلِيبِيِّينَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَنْسِفُوا الْإِسْلَامَ
نَسْفًا، وَأَنْ يَقْضُوا عَلَى أَهْلِهِ قَضَاءً مُبْرَمًا، وَلَمْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْأَبِيُّ وَشَيْخُ الْحَدَّادِيَّةِ» - ١٥ مِنْ

الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩ هـ / ٦-١٠-٢٠١٧ م.

اِنْتِصَارُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ فِي السَّادِسِ مِنْ أُكْتُوبَرِ

هَذِهِ الْأُمَّةُ تَصَدَّتْ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ لِلْيَهُودِ، مِنْ إِخْوَانِ الْقِرْدَةِ
وَالْخَنَازِيرِ، وَصَيَحَتْهُمْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ». (*)

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ فِي السَّادِسِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَاشِرِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ
وَتِسْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ التَّارِيخِ النَّصْرَانِيِّ (١٩٧٣/١٠/٦)، لَمَّا رُفِعَتْ رَايَةُ
التَّوْحِيدِ، وَعَلَتْ كَلِمَةُ التَّكْبِيرِ؛ نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمْ يُنْصَرُوا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَنْ يُنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ
بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَلَا فِي أَيِّ زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ، وَلَنْ تَكُونَ لَهُمْ شَوْكَةٌ، وَلَنْ تُسْمَعَ
لَهُمْ كَلِمَةٌ، وَلَنْ تُرْفَعَ لَهُمْ رَايَةٌ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَبِالتَّوْحِيدِ الْكَرِيمِ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ رَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَعَلَى الْمِصْرِيِّينَ
وَجُنْدِ الشَّامِ خَاصَّةً بَعْضَ الْكَرَامَةِ السَّلْبِيَّةِ، وَأَعَزَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دِينَهُ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ
لَمَّا فَاءَ النَّاسُ إِلَى الْحَقِّ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْأَبْيُّ وَشَيْخُ الْحَدَادِيَّةِ» - ١٥ مِنْ

الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩ هـ / ١٠-٦-٢٠١٧ م.

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَحْفَظَ عَلَى أَرْضِ الْكِنَانَةِ دِينَهَا، وَعَلَى أُنْبَائِهَا إِسْلَامَهُمْ، وَأَنْ يُعِزَّهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَتَحَطَّمَتِ الْأُسْطُورَةُ أُسْطُورَةً الشَّعْبِ الَّذِي يَدُهُ طُولَى، فَمَهْمَا أَرَادَ أَنْ يَصِلَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ وَصَلَ.

أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُحَطِّمَ أُسْطُورَةَ الْجَيْشِ الَّذِي لَا يُقْهَرُ، فَسَيَمَ الْعَذَابَ، وَسَارَ كَالدَّجَاجِ لَا يَجِدُ مَأْوًى، وَقَدْ عَدَّتْ عَلَيْهِ السَّبَاعُ.

وَنَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمَصْرِيِّينَ وَجُنْدَ الشَّامِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَحَاقَ بِيَهُودٍ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ.

وَلَهَا أَخَوَاتٌ إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَفَاقُوا إِلَى طَرِيقِ الرُّشْدِ، وَرَفَعُوا رَايَةَ التَّوْحِيدِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».

وَكَذَبَ مَنْ قَالَ: «إِنَّ يَهُودَ لَمْ تَكُنْ تَخْشَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ النَّكْبَةِ»، فَهَذَا وَهُمْ وَاهِمٌ وَخَيَالٌ عَابِثٌ، إِنَّمَا كَانُوا مِنْهُمْ عَلَى الرَّهْبَةِ، وَالِدَّلِيلُ مَا كَانَ؛ فَهَذَا مَانِعٌ مَائِيٌّ عَظِيمٌ، سُلِّطَتْ عَلَيْهِ أَنْبِيَاءُ النَّبَالِمِ، حَتَّى إِذَا مَا بَدَأَ الْمَصْرِيُّونَ فِي الْعُبُورِ لِذَلِكَ الْمَانِعِ الْمَائِيِّ اشْتَعَلَتِ الْقَنَاةُ نَارًا، فَأَعَدُّوا ذَلِكَ!

ثُمَّ أَعَدُّوا السَّدَّ التُّرَابِيَّ، وَاجْتِيَازَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِشِبْهِ مُعْجَزَةٍ تَأْتِي مِنْ قَبْلِ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ «خَطِّ بَارْلَيْف».

وَوَضَعُوا الْعَسْكَرِيَّةَ عَلَى الْمَحَكِّ؛ لِيَنْظُرَ الْعَالَمُ كُلُّهُ إِلَى هَذَا الْجُنْدِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ، وَقَدْ صَدَّ قَبْلُ أَمْوَاجِ الْهَمَجِيَّةِ التَّيْرِيَّةِ، وَأَمْوَاجِ الْفَوْضَى الصَّلِيبِيَّةِ، وَكُلُّ غَازٍ أَرَادَ أَنْ يَغْبِرَّ إِلَى دِيَارِ الْإِسْلَامِ تَحَطَّمَتْ عَلَى صَخْرَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ

الْمُبَارَكَةِ، وَبِسَوَاعِدِ أَبْنَائِهَا، تُحَرِّكُهَا عَزَمَاتُ إِيْمَانِهَا بِقُلُوبِهَا، بِأَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَنَّنَا إِنَّمَا نَدُورُ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ، وَهُمَا حُسْنِيَانِ مَعًا: «إِمَّا النَّصْرُ، وَإِمَّا الشَّهَادَةُ»، فَجَازُوا تِلْكَ الْمَوَانِعَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَقِفْ فِي وَجْهِهِمْ شَيْءٌ، وَلَا صَدَّهُمْ عَنْ بُغْيَتِهِمْ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَصَارَ إِخْوَانُ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ كَعَجُوزٍ تَطْطِمُ مَوْلُوْلَةً، تَسْتَجِدِّي أُمَّمَ الْكُفْرِ الْعِتَادَ وَالسَّلَاحَ وَالْمَوْوَنَةَ، وَهَؤُلَاءِ يَرْفَعُونَ شِعَارًا وَاحِدًا: «اللَّهُ أَكْبَرُ».

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَوَانِعِ الْمَاءِ، وَمِنْ مَوَانِعِ التُّرَابِ وَسَوَاتِرِهَا.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ خَطِّ دِفَاعٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الطَّائِرَاتِ وَالذَّبَّابَاتِ، وَالْمَدَافِعِ وَالصَّوَارِيخِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ عَادٍ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أُمَّمِ الْكُفْرِ كُلِّهَا.

فَكَانَ النَّصْرُ، وَهُوَ دَرَسٌ مَطْرُوحٌ كَانَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَمَا زَالَ دَرَسًا مَطْرُوحًا إِلَى الْيَوْمِ، وَسَيَظُلُّ.. فَهَلْ مِنْ مُسْتَفِيدٍ!!

كَانَتْ مَوْقِعَةً مِنَ الْمَوَاقِعِ الظَّافِرَةِ، تُعِيدُ إِلَى الْعَالَمِ نَسَائِمَ الْمَاضِي الْبَعِيدِ، نَسَائِمَ يَوْمٍ بَدْرٍ، نَسَائِمَ يَوْمٍ عَيْنِ جَالُوتَ، تُعِيدُ إِلَى الْأُمَّةِ نَسَائِمَ تَرَطَّبُ الْقُلُوبَ، وَتَحْنُو عَلَى الْأَفْدَةِ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلِيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ.

نَصَرَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَكَانَتْ الْأُمَّةُ -وَكُنَّا حَاضِرِيهَا- عَلَى قَلْبِ
رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَتَعَجَّبُ.. كَيْفَ زَالَتِ الْأَحْقَادُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ!!؟

كَيْفَ انْمَحَقَتِ الْأَحْسَادُ فِي ثَانِيَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا!!؟

كَيْفَ صَارَ النَّاسُ قَلْبًا وَاحِدًا نَابِضًا يَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ بِأَكْفِ ضَرَاعَةٍ نَقِيَّةٍ تَقِيَّةٍ، لَا
سَارِقَةٍ، وَلَا غَاصِبَةٍ، وَلَا مُرْتَشِيَّةٍ، وَلَا مُلَوَّثَةٍ بِدِمَاءٍ تَعْذِيبِ الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ
خَاضِعَةٌ لِلَّهِ تَقِيَّةً، وَهِيَ ذَلِيلَةٌ لِلَّهِ تَقِيَّةً!!؟

كَيْفَ تَحَوَّلَ الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى قَلْبٍ تَقِيٍّ نَابِضٍ بِالصِّدْقِ،
وَرُوحٍ مُوحِّدَةٍ نَاطِقَةٍ بِالْحَقِّ!!؟

كَيْفَ تَكَاتَفَ النَّاسُ!!؟

كَيْفَ تَآزَرَ النَّاسُ!!؟

كَيْفَ تَعَاوَنُوا وَتَعَاَضَدُوا!!؟

كَيْفَ فَرَعُوا جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ لِيَنْصُرَ جُنْدَهُ!!؟

وَكَانَ الْجُنْدُ بَيْنَ النَّكْبَةِ وَالنَّصْرِ قَدْ رُبُّوا عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَسَارَتْ فِيهِمْ
دُعَاةٌ يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِ الْهُدَى وَإِلَى دِينِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
فَعَلَّمُوهُمْ مَعَانِي الْجِهَادِ، وَعَرَفُوا مَعْنَى الشَّهَادَةِ وَحَلَاوَةَ الْإِسْتِشْهَادِ، وَلَمْ يَكُونُوا
مِمَّنْ يُقَاتِلُ عَنْ أَرْضٍ بِلَا هُوِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْضُ إِسْلَامِيَّةٍ، إِذَا مَاتَ مُدَافِعٌ عَنْهَا
فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا، فَهِيَ أَرْضُ الْإِسْلَامِ.

هِيَ هَذِهِ الْكِفَاةُ.. كِفَاةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

تِلْكَ الصَّخْرَةُ الَّتِي تَتَحَطَّمُ عَلَيْهَا أَمْوَاجُ الْغَزَاةِ بِفَضْلِ اللَّهِ.

وَهُمْ مِنْ أَرْقِ النَّاسِ قُلُوبًا، وَمِنْ أَخْشَعِهِمْ نُفُوسًا، وَمِنْ أَتَقَاهُمْ أَفْتِدَةً إِذَا عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَزِمُوهُ، وَقَدْ وَصَّى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَاصًّا بِقُطْرِ وَلَا شَعْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ بِجَمِيعِ أَجْنَاسِهَا، وَبِكُلِّ النَّاطِقِينَ بِلُغَتِهِمْ يَشْهَدُونَ أَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، وَكَانَ نَصْرًا عَزِيزًا!

هُوَ دَرَسٌ يُسْتَلْهَمُ.

هُوَ: إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِدِينِ اللَّهِ نَصَرْتُمْ، وَإِذَا خَفَتْ قَبْضَتُكُمْ عَلَى دِينِ رَبِّكُمْ كُسِرْتُمْ وَهَزِمْتُمْ.

وَلَنْ يَعُودَ إِلَيْكُمْ مَجْدُكُمْ، وَلَنْ يَخْتَرِمَكُمُ الْعَالَمُ.. إِلَّا بِتَمَسُّكِكُمْ بِدِينِكُمْ.

وَاخْتِرَامُ الْعَالَمِ لَكُمْ مَطْلُوبٌ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَخْتَرِمُوكُمْ فَلَنْ يَسْمَعُوا دَعْوَتَكُمْ، وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ دَاعِيَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ، إِلَى الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، لَيْسَ لَكُمْ قِيَمَةٌ إِلَّا بِهِ، فَقِيَمَتُكُمْ بِإِسْلَامِكُمْ.

قِيَمَتُكُمْ بِدِينِكُمْ..!

قِيَمَتُكُمْ بِتَوْحِيدِكُمْ..! (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَدَّثَ فِي رَمَضَانَ - الْجُمُعَةَ ١٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣١ هـ، الْمَوْافِقِ

مَعْرَكَةُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ ضِدَّ الْإِرْهَابِ

إِنَّ مِنَ الْحِكَمِ اللَّائِحَةِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُسْتَقْبَلَ الْمَنْطِقَةِ مُعَلَّقًا بِالْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ؛ فَإِنْ تَهَاوَتْ تَهَاوَتْ الْمَنْطِقَةُ، وَإِنْ صَمَدَتْ صَمَدَتْ الْمَنْطِقَةُ. (*)

إِنَّ الْجَيْشَ الْمِصْرِيَّ يُحَارِبُ الْعَالَمَ كُلَّهُ فِي سَيْنَاءَ، تَجَمَّعَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا، وَلَنْ يَضُرُّهُ شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَكِنْ تَجَمَّعَ عَلَيْهِ مِنْ بِأَقْطَارِهَا فِي سَيْنَاءَ. الْعَالَمَ كُلَّهُ يُحَارِبُ الْجَيْشَ الْمِصْرِيَّ فِي سَيْنَاءَ!! وَالْمُقَاتِلُ الْمِصْرِيُّ مِنْ فَجْرِ التَّارِيخِ عَقِيدَتُهُ: «النَّصْرُ، أَوْ الشَّهَادَةُ»، لَا يَعْرِفُ سِوَى هَذَا. (*) (٢).

إِنَّ الْجُنُودَ وَالضُّبَّاطَ يُوَاجِهُونَ الْمَوْتَ بِصُدُورٍ عَارِيَةٍ، وَهَمَمٍ عَاتِيَةٍ، يُضْنِيهِمُ السَّهَرُ، وَيُخَفِّهُمُ الْخَطَرُ، تَتَرَاقَصُ حَوْلَهُمْ أَشْبَاحُ عَدُوٍّ يَكْفُرُهُمْ، وَيَسْتَبِيحُ دِمَاءَهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ، وَيَسْعَى جَاهِدًا لِتَدْمِيرِهِمْ وَنَسْفِهِمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْأَبْيُّ وَشَيْخُ الْحَدَادِيَّةِ» - ١٥ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩هـ / ٦-١٠-٢٠١٧م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «إِرْهَابُ الطَّابُورِ الْخَامِسِ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٦هـ / ٢٤-٤-٢٠١٥م.

وَعَلَى الشَّعْبِ أَنْ يُنَاصِرَ جَيْشَهُ فِي حَرْبِهِ وَكَفَاحِهِ بِأَنْ يَكُونَ ظَهِيرُهُ
وَحِصْنُهُ، كَمَا أَنَّ جَيْشَهُ دِرْعُهُ وَسَيْفُهُ، وَأَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ إِذَا مَا دَعَاهُ لِبَّاهُ، وَإِذَا مَا
طَلَبَهُ وَجَدَهُ، وَإِذَا مَا اسْتَمَهَلَهُ أَمَهَلَهُ، وَإِذَا مَا اسْتَنْظَرَهُ أَنْظَرَهُ.

وَأَنْ يَكُونَ مَعَ جَيْشِهِ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا، فَلَا يَجْرُؤُ حَاقِدٌ وَلَا مُعَادٍ أَنْ
يَدَّعِي أَنْ الْجَيْشَ صَنَعَ لِنَفْسِهِ، وَلَا صَنَعَ شَيْئًا بِنَفْسِهِ، بَلْ هُوَ فِي خِدْمَةِ شَعْبِهِ،
وَرَهْنُ إِشَارَتِهِ وَأَمْرِهِ.

انْتَبَهُوا -عِبَادَ اللَّهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّ حَائِطَ الصَّدِّ الْبَاقِي الْيَوْمَ هُوَ الْجَيْشُ
الْمِصْرِيُّ. (*)

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكْفَ بَأْسَ هَؤُلَاءِ التَّكْفِيرِيِّينَ، وَأَنْ يَجْعَلَ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ،
وَأَنْ يَهْدِيَ شَبَابَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَاذَا لَوْ تَخَلَّى الشَّعْبُ عَنْ جَيْشِهِ؟!» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ
١٤٣٥ هـ / ١٠-١١-٢٠١٤ م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَفْجِيرُ الْكَنَائِسِ وَقَتْلُ الْأَبْرِيَاءِ» - الْجُمُعَةُ ١٧ مِنْ رَجَبِ
١٤٣٨ هـ / ١٤-٤-٢٠١٧ م.

حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ فِي النُّفُوسِ السَّوِيَّةِ

عِبَادَ اللَّهِ! «إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ فِطْرَةٌ فَطَرَهُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقَاتُ فِي الْأَرْضِ؛ فَالْإِبِلُ تَحِنُّ إِلَى أَوْطَانِهَا، وَالطُّيُورُ تَحِنُّ إِلَى أَعْشَاشِهَا وَأَوْكَارِهَا، أَمَّا الْإِنْسَانُ.. فَحَيْنُهُ إِلَى وَطَنِهِ أَشَدُّ، وَشَوْقُهُ إِلَيْهِ أَكْبَرُ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ^(١): «عَالَجْتُ الْعِبَادَةَ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِزَاعِ النَّفْسِ إِلَى الْوَطَنِ»^(٢).

فَهُوَ إِذَا جَلَسَ فِي مَكَّةَ -مَثَلًا- نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى وَطَنِهِ بَغْدَادَ. وَقَالَ -أَيْضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا قَاسَيْتُ فِيمَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ مُفَارَقَةِ الْأَوْطَانِ»^(٣).

(١) هُوَ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ الْقُدُّوسُ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ بْنِ مَنْصُورٍ، أَبُو إِسْحَاقَ الْعِجْلِيُّ الْخُرَاسَانِيُّ الْخُرَاسَانِيُّ نَزِيلُ الشَّامِ، ثَقَّةٌ مَأْمُونٌ، وُلِدَ فِي حُدُودِ الْمَائَةِ، وَمَاتَ بِحِصْنِ بِلَادِ الرُّومِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَمِائَةً.

انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٧/ ٣٨٧)، ترجمة (١٤٢).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»: (٧/ ٣٨٠)، ترجمة (٣٩٤)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ: (٧/ ٣٨٠)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ جَلَّوَعَلَا فِي تَسْخِيرِ النَّاسِ لِعِمَارَةِ الْأَرْضِ أَنْ جَعَلَ حُبَّ
الْوَطَنِ - حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْوَطَنُ قَلِيلَ الْخَيْرِ - مُتَأَصِّلًا فِي النُّفُوسِ مَجْبُولَةً عَلَيْهِ،
كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ لَا حُبُّ الْوَطَنِ لَخَرِبَ الْبَلَدُ
السُّوءُ». ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي» (١).

وَجَاءَ عِنْدَ ابْنِ حَمْدُونَ فِي «التَّذَكُّرَةِ» بِلَفْظٍ: «عَمَرَ اللَّهُ الْبُلْدَانَ بِحُبِّ
الْأَوْطَانِ» (٢).

فَتَرَى الْبَلَدَ الْقَلِيلَ الْأَمْطَارِ، الْكَثِيرَ الْحَرِّ أَوِ الْكَثِيرَ الْأَوْبَةِ، وَمَعَ هَذَا لَا يَعْدِلُ
بِهِ أَهْلُهُ جَنَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَأَنْهَارًا.
قَالَ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ:

وَكُنَّا أَلْفَنَاهَا وَلَمْ تَكُ مَأْلَفًا وَقَدْ يُؤْلَفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ
كَمَا تُؤْلَفُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ بِهَا هَوَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلَكِنَّهَا وَطَنٌ (٣)

(١) «المحاسن والمساوي» لإبراهيم بن محمد البيهقي: (ص ٢٨٦)، وذكره أيضا الجاحظ
في «المحاسن والأضداد»: (ص ١١٧).

(٢) «التذكرة الحمدونية»: (٨ / ١٤٢، رقم ٤٠٧).

(٣) البيتان للمحدث الأديب الشاعر: الحسن بن علي بن أحمد، أبو بكر النهرواني
البغدادي، المعروف بـ(ابن العلاف) المتوفى ٣١٨هـ.

أخرجه ابن ناصر الدين الدمشقي في «توضيح المشتبه»: (٢ / ٤٠٧)، عن أبي بكر
أحمد بن إبراهيم بن شاذان، قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَلَّافِ الْمُحَدِّثُ، قَالَ: كَانَتْ
لِي جَارِيَةٌ حَمَلْتُهَا إِلَى السُّوقِ دَفْعَاتٍ، وَلَمْ أَبْعَهَا، فَقُلْتُ فِيهَا:

وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوَطَنَ قَرِينُ النَّفْسِ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، كَمَا قَالَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ^(١): «الْخُرُوجُ مِنَ الدِّيَارِ مَقْرُونٌ بِالْقَتْلِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ»، وَإِذَا كَانَ النَّاسُ - كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ - : «... نَفُوسَ الدِّيَارِ»^(٢)، فَخُرُوجُهُمْ مِنْهَا قَتْلُهَا، وَانْتِقَالُ وَلَا يَتَّحِلُّ عَنْهَا عَزْلُهَا^(٣).

رَدَدْنَا خِمَارًا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ مِنْ السُّوقِ وَاخْتَرْنَا حِمَارًا عَلَى الثَّمَنِ
وَكُنَّا أَلْفَنَاهَا وَلَمْ تَكُ مَأْلَفًا وَقَدْ يُؤْلَفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ
كَمَا تُوْلَفُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ بِهَا هَوَاءٌ وَلَا مَاءٌ سِوَى أَنَّهَا الْوَطَنُ

(١) هو الإمامُ الْبَلِيغُ سَيِّدُ الْفُصَحَاءِ: مُحْيِي الدِّينِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ، أَبُو عَلِيٍّ الْبَيْسَانِيُّ الْأَصْلُ الْعَسْقَلَانِيُّ الْمَوْلِدُ الْمِصْرِيُّ الدَّارِ، المعروف بـ(القاضي الفاضل)، وزير السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ تِسْعَ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ.

انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٢١/ ٣٣٨، رقم ١٧٩).

(٢) جزء من بيت للشاعر علي بن محمد الإيادي التونسي العبيدي (المتوفى ٣٦٥هـ)، ذكره القيرواني في «زهر الآداب»: (٣/ ٧٣٩)، حيث يقول:

بِالْجَزْعِ، فَالْخَبْتَيْنِ أَشْلَاءَ دَارٍ ذَاتَ لَيْالٍ قَدْ تَوَلَّتْ قِصَارَ
بَانُوا فَمَاتَتْ أَسْفًا بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا النَّاسُ نُفُوسُ الدِّيَارِ

وَ(الْخَبْتُ): مَا أَطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ وَاتَّسَعَ وَلَا نَبَاتَ فِيهِ، وَ(أَشْلَاءَ دَارٍ): بَقَايَا الدَّارِ بَعْدَ خَرَابِهَا.

(٣) «تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون» للصفدي: (ص ٣٢٠).

وَهُوَ يُشِيرُ رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَيَّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ
أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي تِلْكَ الْآيَةِ: «لَوْ شَدَدْنَا عَلَى النَّاسِ التَّكْلِيفَ كَانَ
نَأْمُرُهُمْ بِالْقَتْلِ - قَتْلِ أَنْفُسِهِمْ - وَالْخُرُوجِ عَنِ الْأَوْطَانِ لَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَمَا فَعَلَهُ
إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ رَسَخَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ.

فَلَمَّا لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ رَحْمَةً بِالْعِبَادِ، بَلْ كَلَّفْنَاهُمْ مِنَ الْأُمُورِ مَا يُطِيقُونَ،
فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا وَيُؤْمِنُوا وَيَتْرَكُوا الْعِنَادَ وَالتَّمَرُّدَ»^(١).

فَفِي الْآيَةِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ قَتْلَ النَّفْسِ وَالْخُرُوجَ مِنَ الْوَطَنِ شَأْنٌ عَلَى النَّفْسِ،
وَلِذَا لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ عَلَيْنَا كَمَا جَعَلَهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عُقُوبَةً أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ،
وَأَلَّا يَسْتَقِرُّوا فِي وَطَنٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا.

وَبِمَا أَنَّ الْوَطْنَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ وَلَهُ هَذِهِ الْمَكَانَةُ، فَهَلْ حُبُّهُ وَالْحَيْنُ إِلَيْهِ يُوجِرُ
عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ؟ وَهَلِ الدَّفَاعُ عَنْهُ وَالْحِفَاطُ عَلَيْهِ فَرَضٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ؟

إِنَّ حُبَّ الْمُسْلِمِ لَوَطْنِهِ الَّذِي قَامَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهِ وَارْتَفَعَ فِيهِ حَتَّى أَصْبَحَ وَطَنَ
الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادَهُمْ هُوَ حُبٌّ مَشْرُوعٌ، يَجْتَمِعُ فِيهِ الْحُبُّ الْفِطْرِيُّ الْغَرِيزِيُّ
وَالْحُبُّ الشَّرْعِيُّ.

(١) «تفسير الرازي»: (١٠/ ١٢٩)، بتصرف واختصار.

وَمَا تَوَلَّدَ حُبُّ الْوَطَنِ إِلَّا عَنْ حُبِّ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَالْجِيرَانِ، ثُمَّ عَنْ تَعَلُّقِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِمَحَلٍّ وَلَا دِيَّةٍ وَمَكَانٍ نَشَأَتْهُ.

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ:

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكََا
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرَتْهُمْ عُهُودَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُوا لِذَلِكََا
فَقَدْ أَلْفَتْهُ النَّفْسُ حَتَّى كَانَتْهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غَوِدَتْ هَالِكَا^(١)

وَقَدْ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَتَشْتَاقُ إِلَيَّ وَطَنِكَ؟

قَالَ: كَيْفَ لَا أَشْتَاقُ إِلَيَّ رَمَلَةٍ كُنْتُ جَنِينَ رُكَامِهَا وَرَضِيعَ غَمَامِهَا؟! (٢).

وَأَبْيَاتُ الشُّعْرَاءِ وَمَقَالَاتُ الْحُكَمَاءِ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا.. هَذَا مِنْ جَانِبٍ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ.. حُبُّ الْوَطَنِ تَوَلَّدَ مِنْ حُبِّ شَعَائِرِ اللَّهِ الَّتِي تُقَامُ عَلَيْهِ، وَمِنْ حُبِّ الْعِلْمِ الَّذِي يَكْتَسِبُهُ الْمُسْلِمُ فِيهِ، وَمِنْ حُبِّ اجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَتَنْظِيمِ أُمُورِهِمْ لِعِمَارَةِ الْأَرْضِ عَلَى تَرَابِهِ.

(١) الأبيات من الطويل، لشاعر بغداد في زمانه مَعَ الْبُحْثَرِيِّ: أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ

جُرَيْجٍ، المعروف بـ(ابن الرُّومِيِّ)، المتوفى ٢٨٣ هـ، وهي في ديوانه: (٥/ ١٨٢٦)،

القصيدة رقم (١٣٧٥)، يقول في مطلعها:

أَعُوذُ بِحَقْوَيْكَ الْعَزِيزَيْنِ أَنْ أَرَى مُقَرَّأً بِضِيمٍ يَتْرُكُ الْوَجْهَ حَالِكَا

(٢) «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار»: (٣/ ٦٤)، و«التذكرة الحمدونية»: (٨/ ١٤٢)،

رقم (٤١٠).

فَحُبُّ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ نَبَّهَ عَلَيْهِ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ فِي مَوَاطِنَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا: مَا جَاءَ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تُفِيدُ أَنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مَشْرُوعٌ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ ^(١) عَلَى حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ - أَيْ أَسْرَعَ بِهَا -، وَإِذَا كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا؛ مِنْ حُبِّهَا» ^(٢)؛ أَيْ مِنْ حُبِّ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ - عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ -.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

قَالَ الْحَافِظُ: «فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ حُبِّ الْوَطَنِ وَالْحَنِينِ إِلَيْهِ»، وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَائِشَةَ فِي قِصَّةِ الْوَحْيِ أَنَّ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ لَمَّا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ».

قَالَ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟!».

قَالَ: «نَعَمْ» ^(٣).

(١) «فتح الباري»: (٣ / ٦٢١).

(٢) أخرجه البخاري: (٣ / ٦٢٠)، رقم ١٨٠٢، و(٤ / ٩٨)، رقم ١٨٨٦.

(٣) أخرجه البخاري: (١ / ٢٣)، رقم ٣، ومسلم: (١ / ١٣٩ - ١٤٣)، رقم ١٦٠.

قَالَ الْحَلَبِيُّ^(١) فِي «السِّيَرَةِ»^(٢) وَغَيْرُهُ: «الِاسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِيُّ هَا هُنَا دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ حُبِّ الْوَطَنِ وَعُسْرِ مُفَارَقَتِهِ، خُصُوصًا وَذَلِكَ الْوَطَنُ حَرَمُ اللَّهِ وَجَوَارُ بَيْتِهِ وَمَسْقَطُ رَأْسِهِ».

«أَوْمُخِرَجِي هُمْ؟!!».

وَفِي إِشَارَةِ نَبَوِيَّةِ كَرِيمَةِ نَبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَنَّ تُرْبَةَ الْأَرْضِ يَعْيشُ فِيهَا الْإِنْسَانُ قَدْ تَكُونُ عُنْصُرًا مِنْ عَنَاصِرِ الدَّوَاءِ الَّذِي يَشْفِيهِ اللَّهُ ﷻ بِهِ، فَهَذَا طِبُّ نَبِيِّ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَيْثُ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْقِي الْمَرِيضَ فَيَجْعَلُ فِي أَصْبَعِهِ رِيقَهُ، ثُمَّ يَضَعُ الْأَصْبَعَ عَلَى التُّرَابِ فَيَعْلَقُ بِهِ التُّرَابُ، ثُمَّ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةٍ بَعْضُنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا».

وَمِنْهَا مَا قَرَّرَهُ الشَّرْعُ مِنْ وُجُوبِ الدَّفَاعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْكَلِمَةِ الْمَقْرُوءَةِ أَوِ الْمَسْمُوعَةِ، وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ مِنْ صُورِ تَعَيُّنِ

(١) الحلبي، هو المؤرخ الأديب: علي بن إبراهيم بن أحمد، أبو الفرج الحلبي القاهري الشافعي، صاحب السيرة النبوية، مات بمصر سنة أربع وأربعين وألف.
انظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»: (١٢٢/٣)، و«الأعلام»: (٢٥١/٤).

(٢) «السيرة الحلبية»: (٣٤٧/١)، بتصرف واختصار.

(٣) «صحيح البخاري»: (٢٠٦/١٠)، رقم ٥٧٤٥ و٥٧٤٦، و«صحيح مسلم»: (١٧٢٤/٤)، رقم ٢١٩٤.

الْجِهَادِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ: إِذَا دَهَمَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَجَبَ عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥].

وَلِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ.. وَذَكَرَ مِنْهَا: التَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَيُؤَكِّدُ الْقِتَالَ مِنْ أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ بَلَدِ الْمُسْلِمِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

فَصَاحِبُ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَالِدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ يَجِدُ حُرْمَةً بَلَدِهِ فِي قَلْبِهِ كَحُرْمَةِ أَهْلِهِ، كَحُرْمَةِ أَبِيهِ، كَحُرْمَةِ إِخْوَانِهِ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «تُرْبَةُ الصَّبَا تَغْرِسُ فِي النُّفُوسِ حُرْمَةً، كَمَا تَغْرِسُ الْوِلَادَةُ فِي الْقَلْبِ رِقَّةً»^(٢).

لَا يُوجَدُ أَحَدٌ مِّنَّا هَذَبُهُ الْإِسْلَامَ، وَامْتَلَأَ وَفَاءً، وَبَقِيَ عَلَى فِطْرَةِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا وَهُوَ يَحْمِلُ فِي نَفْسِهِ حُبَّ وَطَنِهِ، وَإِكْبَارَهُ، وَالْخَوْفَ عَلَيْهِ، قَلْبُهُ مُشْبَعٌ بِالْإِعْزَازِ لَوْطَنِهِ، مُفْعَمٌ بِالتَّفَاخُرِ بِهِ وَالْإِعْتِزَالِ بِهِ. (*).

(١) أخرجه البخاري: (٣٩٣/٥)، رقم (٢٧٦٦)، ومسلم: (٩٢/١)، رقم (٨٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «الرسائل» للجاحظ: (٣٨٦/٢)، و«التذكرة الحمدونية»: (١٤١/٨)، رقم (٤٠٥).
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْوَطَنِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩هـ / ٢٠ -

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، وَكُلُّ سَوِيٍّ مِنَ الْبَشَرِ يُحِبُّ وَطَنَهُ، وَيَتَمَيَّ
إِلَيْهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ.. وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي قَلْبِهِ.. مَنْ لَمْ يَجِدْ فِي
ضَمِيرِهِ وَعَقْلِهِ حُبَّ وَطَنِهِ فَهُوَ شَاذٌّ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ، مُنْحَرِفٌ عَنِ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ،
وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى عِلَاجٍ وَدَوَاءٍ!!

حَفِظَ اللَّهُ مِصْرَ..

اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.. اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا.. اللَّهُمَّ احْفَظْ وَطَنَنَا، وَاحْفَظْ وُلاةَ
أُمُورِنَا، وَاحْفَظْ وُلاةَ أُمُورِنَا، وَاحْفَظْ وُلاةَ أُمُورِنَا، وَوَقِّقْهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ
وَالْعِبَادِ، وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «الدَّعْوَةُ إِلَى حُبِّ الْوَطَنِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ

الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠ هـ / ٢٨-٩-٢٠١٨ م.

الفهرس

٣ مُقَدِّمَةٌ

٤ مَعَانٍ عَظِيمَةٌ لِلْوَطَنِ

٦ الْوَطَنِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ

١١ دَرَجَاتُ الْعَطَاءِ لِلْوَطَنِ

١٤ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعَطَاءِ لِلْوَطَنِ: الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ

١٩ مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعَطَاءِ لِلْوَطَنِ: الْعَمَلُ الْجَادُّ

٢١ فَصَائِلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

٣٠ مَنَازِلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ

٣٦ انْتِصَارَاتُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ

٣٩ انْتِصَارُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ فِي السَّادِسِ مِنْ أَكْتُوبَرِ

٤٤ مَعْرَكَةُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ ضِدَّ الْإِرْهَابِ

٤٦ حُبُّ الْوَطَنِ غَرِيزَةٌ فِي النُّفُوسِ السَّوِيَّةِ

٥٥ الْفَهْرُسُ

